الحيـــــاء

من قيم الإسلام العالية ، وأخلاقه السامية خلق الحياء ، والحياء هو الحشمة ، وهو الإنزواء والإنقباض ، ضد الوقاحة. (مقاييس اللغة ، ولسان العرب). واصطلاحًا : خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. (شرح النووي على مسلم)، وقيل: هو تَغَيُّرٌ وَانْكِسَارٌ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَخَوُّفِ مَا يُعَابُ بِهِ أَوْ يُذَمُّ عَلَيْهِ.. (طرح التثريب للعراقي).

مكـــانتـــه:

والحياء من الأخلاق التي تتمتع في الشريعة الإسلامية بمكانة عالية ومنزلة رفيعة ، فهو أحد الأخلاق المحببة عند الحقِّ (تبارك وتعالى)، فحينما قدِم المنذر بن عائذ بن المنذر (أشج عبد القيس) من البحرين على النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في العام التاسع الهجري عام الوفود قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ) فقال: ما هما؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ)، قال: أَقَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا؟ قَالَ: (صلى الله عليه وسلم) : (بَلْ قَدِيمًا). فقال الأشجّ العصرى: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما، (رواه أحمد)، وعن الحسن البصري (رضي الله عنه) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ كَامِلًا، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَانَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِهِ دِينٌ يُرْشِدُهُ، وَعَقْلٌ يُسَدِّدُهُ، وَحَسَبٌ يَصُونُهُ، وَحَيَاءٌ يَقُودُهُ) (الآداب الشرعية).

والحياء جوهر الدين الإسلامي ، فقد ذُكِرَ الحياءُ عند عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) فقالوا: الحياء من الدين. فقال: (بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ) (حلية الأولياء ، وشعب الإيمان).

والحياء من أعظم أخلاق النبوة ، فآدم (عليه السلام) حينما أكل من الشجرة التى نُهي عن الأكل منها ومعه زوجه حواء سقط عنهما لباسهما فبدت لهما سوآتهما ، فأسرعا يأخذان من ورق الجنة ليسترا تلك السوءة حياء من الله (عز وجل)، قال سبحانه:{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}[الأعراف:٢٢]، وعن أُبيّ بن كعب ، وعطاء (رضي الله عنهما) قالا : (لَمَّا ذَاقَ آدَمُ وحواء مِنَ الشَّجَرَةِ، وبدت لهما سوءتهما، فَرَّ هَارِبًا فَتَعَلَّقَتْ شَجَرَةٌ بِشَعْرِهِ فَنُودِيَ: يَا آدَمُ، أَفِرَارًا مِنِّي؟. قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ يا رب) (تفسير السمعاني بتصرف).

وهذا نبيُّ الله موسى (عليه السلام) كان حييًّا ستيرًا يبالغ في ستر نفسه حتى ادعى بنو إسرائيل أن بجسده عيبًا ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}[الأحزاب:٦٩]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ : وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}(رواه البخاري).

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفه الصحابة (رضي الله عنهم) في وجهه. (متفق عليه)، وليلةُ الإسراء والمعراج استحى نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن يظل في مراجعته لربّ العزة تبارك وتعالى في تخفيف فريضة الصلاة وقال: (قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي) (متفق عليه).

ودعا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أصحابه (رضي الله عنهم) لوليمة عرسه على السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها)، فاجتمعوا في حجرتها ، فطَعِموا ، ثمّ جلسوا يتحدثون ، وأطالوا القيام حتى آذوا النبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، واستحيى أن يطلب منهم الانصراف ، وفي ذلك يقول سبحانه:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ...}[الأحزاب:٥٣].

كما أن الحياء من أعظم أخلاق الإسلام ، وأجلها قدرًا، وأكثرها نفعًا، ولا يأتي دائما إلا بكل خير ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) (رواه ابن ماجه)، وخُصّ الحياء بذلك؟ لأنه لا يأتي إلا بكل خير ، كما أخبر رسول

الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) (متفق عليه)، بل جعله (صلى الله عليه وسلم)خيرًا كله، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) (رواه مسلم)، ولا عجب في ذلك ؛ فالحياء يمنع صاحبه من ارتكاب الرذائل والفواحش، ويدفعه إلى صيانة عرضه، ودفعِ المساوئ، ونشرِ المحاسن، والتحلي بمكارم الأخلاق، فعن أبي مسعود البدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)(رواه البخاري)، فمردّ الأخلاق كلها إلى الحياء ، قال الشاعر:

ورُبّ قبيحـــةٍ مـا حـال بينــي ** وبين ركـوبهـــا إلا الحيـــــاء

فكان هــــو الــدواء لها ولكـــن ** إذا ذهـب الحيـــاء فلا دواء

كما أن إيمان المؤمن مرتبط بالحياء ، فإذا وُجد الحياء وُجد الإيمان ، وإذا قلّ الحياء قلّ الإيمان ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ) (رواه البخاري في الأدب المفرد).

صور الحياء: **للحياء عدة صور ، منها :**

١) **الحياء من الله** : وهو أعظمها . ومعناه : إجلال الله (عزّ وجلّ)، ومراقبته، والخوف منه ؛ بأن يحفظ الإنسان أعضاءه ، وجوارحه عن المعاصي، فلا يراه الله حيث نهاه ، ولا يفتقده حيث أمره ، كما يدخل في معناه الزهد في الحياة الدنيا ، والإقبال على الآخرة، قال تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}[العلق:١٤]، وقال تعالى مخاطبًا النبيّ (صلى الله عليه وسلم) :{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}[الشعراء:٢١٨-٢١٩] ، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)، قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ) (رواه الترمذي).

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) فقال له: يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا لقلبي، قال: (إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة) ، قال: هات يا أبا إسحاق!، قال: (أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله

(عزّ وجلّ) فلا تأكل رزقه)، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟)، قال: لا، هات الثانية!،قال: (وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده)، قال الرجل: هذه أعظم من الأولى! يا هذا! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟ قال: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟)، قال: لا، هات الثالثة. قال: (إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه). قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟. قال: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!). قال: لا، هات الرابعة. قال: (إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا واعمل لله عملا صالحا). قال: لا يقبل منّي. قال: (يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟!). قال: هات الخامسة. قال: (إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم). قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني. قال: (فكيف ترجو النجاة إذًا؟!). قال له: يا إبراهيم، حسبي أن أستغفر الله وأتوب إليه، ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما. (التوابين لابن قدامة) ، قال الشاعر:

يا مُـدمِـن الـذَّنْبِ أما تَسـتَحِـي ** والله في الخَـلْـوَةِ ثَانِيـكَا
غَـرَّكَ مِنْ رَبِّـكَ إمْهَـالُهُ ** وسـتْرُهُ طـولَ مَسـاوِيكَا

٢) **الحياء من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)**: وذلك بالتزام هديه، واتباع سنته، وتوقيره وطاعته، قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الحشر:٧]، وعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (رواه أبو داود وابن ماجه).

٣) **الحياء من الملائكة**: بأن توقن أنهم معك ومطلعون عليك، ويراقبونك ويحصون أعمالك، ولا يفارقونك إلا عند دخول الخلاء ، أو إتيان الأهل؛ فلا تتلبس بشيء تعاب به، أو تذم عندهم ،

فإنهم يتأذون مما يتأذى به بنو آدم، قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[الانفطار:١٠-١٢]، (أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم ، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم ، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، وإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه ، وإن كان يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟) (الداء والدواء).

٤) **الحياء من الناس**: فتكفّ عن إيذائهم بالقول واليد ، في حضورهم كالهمز واللمز ، و في غيابهم ، وعدم التقصير في حقٍّ من حقوق العباد الواجبة عليك لهم، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (رواه مسلم) ، يقصد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ) (مسند أحمد)، وكان الرَّبيع بن خُثَيم مِن شدَّة غضه لبصره وإطراقه يَظُنُّ بعضُ النَّاس أنَّه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود (رضي الله عنه) عشرين سنة ، فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء ، فكان يضحك ابن مسعود (رضي الله عنه) مِن قولها، وكان إذا دقَّ الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقًا غاضًّا بصره. (إحياء علوم الدين) .

٥) **الحياء من النفس**: فيمتنع الإنسان من إيرادها موارد الهلكة ، ويسلك بها سبل الهدى، فيلزمها العفة، ولا يرضى لها النقص، ولا يقنع بالدون من العمل والعبادة، فعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلاَ تَفْعَلْهُ بِنَفْسِكَ إِذَا خَلَوْتَ) (الجامع الصغير للسيوطي)، وعن ذي النون المصري (رحمه الله)، أنه قال: (مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ خَطَرٌ قَدْرٌ) (الفتوة لأبي عبد الرحمن السُلميّ).

فوائد التحلي بالحياء:

- فيه ترك للذنوب خجلا من الله (عزّ وجلّ)، وإقبال على الطاعة والعبادة .
- الحياء والإيمان قرينان ، والحياء يزين الإيمان ويكمله.
- التحلي به أساس للتحلي بمكارم الأخلاق ، ولا يأتي إلا بخير.

❖ **صاحبه محبوب عند الله تعالی، مألوف عند الناس.**